الملاحظات النقدية الأولى وأثرها في نشأة المصطلحات البلاغية

الأستاذ الدكتور

أيوب عبد العزيز بدران

الملاحظات النقدية الأولى وأثرها في نشأة المصطلحات البلاغية

للدكتور أيوب عبد العزيز بدران

صلة البلاغة القولية والعلمية بالأدب والنقد الأدبى:

الأدب والنقد والبلاغة كلمات متآخية بينها قدر كبير من التلازم والارتباط ، ما أن تذكر إحداها حتى تقفز الأخريان إلى الذهن ، إذ الأدب فى أدق معانيه وأبسطها هو الجيد من الفن القولى الذى يصل إلى أعماق النفس ويؤثر فيها ، وهو : الكلام البليغ الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المنافقين به ليبلغ منهم ويؤثر فيهم فى قوله تعالى : ((أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً)) (سورة النساء ٦٣) وقد وردت كلمة (أدب) بمعنى (علم المنطق الفصيح المؤثر فى النفس) فى قول الصديق أبى بكر للنبى صلى الله عليه وسلم عندما أعجب من بلاغته: ((لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم، فما سمعت بالذى هو أفصح منك ، فمن أدبك ؟)) فيجيبه صلى الله عليه وسلم بقوله: ((أدبنى ربى فأحسن تأديبى)). فسؤال الصديق بقوله: ((من أدبك ؟)) يعنى من علمك هذا الكلام البليغ المؤثر فى النفس الذى لم أسمع مثله من عربى قط ،، .

حقاً لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، إذ كمله برجاحة العقل وصفاء الحس، وقوة الطبع وتمكن اللسان، ومحض السليقة ؛ ليكون مبلغاً لكلمته ولساناً لوحيه.

إذا ، فبلاغة القول والأدب كلمتان متلازمتان لا تفترقان، فحيثما وجدت البلاغة فى القول كان الأدب، وحيث انتفت البلاغة عن القول زال عنه اسم الأدب ، وإلا فلماذا لا نطلق على القصائد التى تنظم لتسجيل القواعد اللغوية، والحقائق العلمية كألفية ابن مالك و""عقود الجمان فى علمى المعانى والبيان للسيوطى وأمثالهما اسم الأدب؟"". ثم لماذا نطلق على معلقة امرئ القيس ومعلقة زهير وأشباههما اسم الأدب؟ .

هذا من ناحية صلة البلاغة القولية بالأدب ، أما من ناحية صلة البلاغة العلمية بالأدب والنقد فإن الأدب هو الميدان الرحب الذى يعمل فيه كل من النقد والبلاغة، فإذا كان النقد هو تفسير الأدب وتحليله فإن البلاغة تعتبر وسيله من وسائله، بل هى أهم تلك الوسائل. إذ مهمة الناقد تجاه تفسير العمل الأدبى وتحليله تنصرف أول ما تنصرف إلى بيان خصوصيات التعبير وتميز الأداء ، الأمر الذى يعد مناط التفاوت بين أديب وآخر، فينظر الناقد أولاً إلى الألفاظ التى اختارها الأديب ليصوغ منها عمله ليرى هل حققت تلك الألفاظ الغرض الذى أراده الشاعر، أو الكاتب فوضحت فكرته ونقلت مشاعره وأحاسيسه إلى قارئه أو سامعه؟. أو أنها عجزت عن ذلك؟ ، ويسجل السبب فى كلتا الحالتين ، ثم يبين أيضاً هل استخدمت الألفاظ فى معانيها التى وضعت لها فى أصل اللغة ، أو استخدمها فى معان أخرى بينها وبين المعانى الحقيقية علاقة ، أو لا علاقة بينهما:

ثم ينتقل إلى الجملة – والجملة هى وحدة البناء فى العمل الأدبى إذ هى الخطوة الأولى التى يخطوها الأديب للخروج بمفردات اللغة من

دائراتها المعجمية ليعطينا طعومات متعددة ، ومذاقات مختلفة بحسب نوع العلاقة التى أوجدها بين أجزائها.

والجملة فى لغة العرب لها نظام خاص ، ونسق معين اتفق عليه أهلها، وارتضوه فيما بينهم، يسبق المسند إليه المسند فى الجملة الإسمية ، ثم تأتى مكملاتها . ويتقدم المسند على المسند إليه فى الجملة الفعلية، ثم تأتى متعلقات الفعل. ينظر الناقد ليرى هل التزم الأديب بهذا الترتيب فى نظمه للجملة، فوضع كل عنصر فى موضعه منها ؟ . أو أنه خالف ، فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم؟ ، ثم ينظر كذلك ليرى هل نكر فى موضع التعريف ، أو عرف فى موضع التنكير؟ ، أو ذكر فى موطن الحذف أو حذف فى موطن الذكر ، أو أضمر فى مكان الإظهار أو أظهر فى مكان الإضمار.

فإذا كان قد فعل شيئاً من ذلك فعلى الناقد أن يذكر القيمة الفنية التى يرمى إليها الأديب، والغرض البلاغى الذى يقصده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفقرة من النثر أو المقطع من الشعر فيوضح العلاقات والروابط التى أوجدها الأديب بين الجمل والأدوات التى استخدمها ثم يبرز القيمة البلاغية لكل أداة من تلك الأدوات ، ثم يبين مدى انسجام تلك الجمل وتناسقها ، أو تنافرها واختلافها.

وبعد أن ينتهى الناقد من دراسة تلك الجزيئات وتوجيه تصرفات الأديب فى تشكيل بنيته ، عليه أن يحدد ملامح أسلوبه وميزات أدائه وخصائصه الفنية ؛ ليقول لنا هل هو ممن يفضلون الإطناب بتكرار الجمل

وترادفها وتأكيدها؟. أو ممن يميلون إلى الإيجاز بوضع المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة؟ ،، أو ممن يسوون بين المعانى والألفاظ؟.

وقبل كل ذلك عليه أن يبين هل جاء كلامه مطابقاً لأحوال المخاطبين وملائماً للغرض الذى يرمى إليه؟.

فالبلاغة إذاً، هى الأداة التى يستطيع الناقد أن يفرق بها بين الجيد والردئ من القول. كما أنها تعين أيضاً على إنشاء الجيد من الشعر والنثر، وقد كان القدماء يطلقون على علوم البلاغة إسم (نقد الشعر) كما فعل قدامة بن جعفر ، أو (قواعد الشعر) كما فعل أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب. أو (صناعة الشعر والنثر) كما فعل أبو هلال العسكرى.

مكانة الأدب فى العصر الجاهلى :

لا شك أن العرب فى العصر الجاهلى قد وصلوا إلى مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان أهلتهم لأن ينزل القرآن بلغتهم، وعلى رسول من جنسهم متحدياً إياهم بأن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله ، فمنهم الشعراء النوابغ، والخطباء المصاقع ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر. والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، وكانوا يتنافسون فى الفصاحة والبلاغة ويتفاخرون بها فيما بينهم.

وقد صور لنا القرآن الكريم مدى ما وصلوا إليه من قوة البيان وشدة التأثير على سامعى كلامهم فى عدة مواضع ، منها : قوله تعالى : ((فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا))(١).

وقوله ((كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)). (٢) وقوله تعالى: ((ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام)) (٣).

وإذا ما نظرنا إلى الفنون الأدبية فى العصر الجاهلى وجدناها تتضمن الشعر والخطابة والكتابة والمفاخرات والمنافرات والحكم والأمثال والوصايا وسجع الكهان، إلا أنه لم يزدهر من بين تلك الفنون سوى الشعر والخطابة ، إما لأن معظم تلك الفنون يرجع إليهما ، وإما لأنهما الفنان اللذان يستطيعان أن ينهضا بعبء حياة العرب فى ذلك العصر. تلك الحياة التى كانت تتميز بالأنفة والكبرياء العنيد والذود عن الحمى والدفاع عن الجار، وتهتم أكثر ما تهتم بالافتخار بالأحساب و التباهى بالأنساب ، والانتصار للأخ حمية وعصبية ومدح الشجاعة، وذم الجبن والخور والفرار من ساحات القتال.

الشعر والخطابة إذاً ، هما الأداتان الطيعتان اللتان بهما تثار النفوس وتلهب العواطف عند حمل السلاح، وخوض المعارك، أو عند الدعوة إلى السلم، وحقن الدماء ، أو لإعلان الفضائل ، وعد المآثر ، أو الوفادة إلى الملوك والأمراء ، وإذا كان الشعر والخطابة هما أبرز الفنون الأدبية فى العصر الجاهلى فإن الشعر يمتاز عن الخطابة بالوزن والقافية مما يسبب سهولة حفظه واختزان العقول له، حتى صار المروى من الشعر يفوق بكثير المروى من الخطابة مما هيأ له "" أن يصبح – بحق – ديوان العرب يحفظون به مكارمهم، ويقيدون به مناقبهم، ويضمنونه ذكر وقائعهم على أعدائهم ويستودعونه أخبار صنائعهم إلى أوليائهم"". (٤)

ومن ثم كانت القبيلة من العرب تفتخر بالشاعر وتهتم به اهتماماً قد يفوق اهتمامها بفرسانها وأبطالها الذين يحملون السلاح دفاعاً عن مقدسات القبيلة وذوداً عن حرماتها، إذ الدفاع باللسان لا يقل عن الدفاع بالسنان ، كما قالوا : "" جرح اللسان كوخز السنان"" ، لأن الطعن بالسنان يصل إلى الجلد واللحم، أما الطعن باللسان فإنه يصل إلى القلب، وقالوا: "" رب قول أنفذ من صول"" (٥) . يقول ابن رشيق:"" كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس ، لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أنسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم""(٦).

وفى أى مجتمع يوجد به أديب يوجد من يتلقى هذا الأدب سماعاً أو قراءة ، فإذا عبر المتلقى عن رأيه إزاء هذا الأدب استحساناً أو استهجاناً كان هذا ضرباً من النقد. وقد يعلل الناقد رأيه فيكون نقده موضوعياً، أما إذا أغفل التعليل أو لم يستطعه فيكون نقده ذاتياً.

وهذا ما أثر عن العرب فى عصورهم الأدبية الأولى، فقد وصلنا مع ما روى عنهم من أدب نقد له ، إلا أنه كان فى أغلب صوره نقداً: ذوقياً يقوم على إحساس فنى يعتمد أكثر ما يعتمد على الموهبة والدربة والخبرة بنظم الشعر وروايته، دون أن يتمكن من تقديم تعليل موضوعى لما يرى. بينما كان فى بعضها الآخر نقداً موضوعياً يستند إلى تعليل يدل على بصر نافذ ودراية واضحة بفنون القول وطرائقه.

وإذا كانت الملاحظة النقدية مبنية على أساس مقبول من التعليل فقد تتطور بمرور الوقت وتشيع وتنتشر ، ثم تتحول إلى قاعدة أسلوبية تستطيع أن تفرض نفسها فى محيط العلم وتنضم إلى موكبه.

وسنختار هنا بعضاً من ملاحظات النقد فى عصوره الأولى ما كان مبنياً على تعليلات أسهمت بشكل أو بآخر فى بناء صرح علم البلاغة: بمعنى أنها وجهت أنظار العلماء إلى تحديد بعض المصطلحات البلاغية أو فتحت المجال أمامهم لدراستها.

لمحات نقدية من العصر الجاهلى:

أولاً: من الشعر:

تروى لنا كتب الأدب أن امرأ القيس وعلقمة بن عبدة التميمى تنازعا الشعر وادعى كل منهما أنه أشعر من صاحبه. فاحتكما إلى أم جندب زوج امرى القيس، فقالت: "" قولا شعراً فى وصف الخيل""، فقال امرؤ القيس : (٧)

"" **فللسوط ألهوب وللساق درة ؛ ؛ وللزجر منه وقع أجرد مهذب**"" (٨)

وقال علقمة:

"" **فأدركهن ثانيا من عنانه ؛ ؛ يمر كمر الرائح المتحلب** "" (٩)

فقالت أم جندب بعد سماع ما قاله كل منهما فى وصف فرسه : "" علقمة أشعر منك "" ، لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك ، وضربته

بسوطك، وأن فرسه أدرك الصيد ثانيا من عنانه ، ولم يضربه بسوط، ولم يحركه بساق ، ولم يزجره بصوت ،،.

فالصفات التى ذكرها امرؤ القيس فى وصف فرسه لا تدل على أنه أصيل، حتى قال أبو هلال العسكرى : "" لو وصف بهذه الصفات أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك"" (١٠).

أما الصفات التى ذكرها علقمة فقد دلت على أن فرسه كريم، فكأنها قالت: المقام للفخر ، ومقام الفخر يستدعى ذكر الصفات الكريمة ، ولما كان الذى ذكره امرؤ القيس من الصفات لا يدل على الكرم والأصالة ، فقد عابته أم جندب ، وفضلت عليه علقمة الذى أصاب مقام الفخر.

وتدلنا هذه الملاحظة – إن صحت – على أن أم جندب قد عرفت الكناية عن صفة وإن لم تسمها بلفظها ، إذ ليست الكناية عن صفة إلا استدلالا بصفات مذكورة على صفة غير مذكورة ، وعرفت كذلك حسن ما طابق الحال منها وسوء ما خالفه (١١).

ومن ذلك ما روى أن المتلمس أو المسيب بن علس (١٢) كان ينشد طرفة بن العبد قصيدته التى مطلعها :

ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

نحييك عن شحط وإن لم تكلم

فلما انتهى إلى قوله:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره

بناج عليه الصيعرية مكدم (١٣)

قال طرفة ناقداً هذا القول : "" استنوق الجمل"" إذ إن الصيعرية سمة فى عنق الناقة فهى صفة من صفاتها ولازم من لوازمها ، وصف بها الشاعر الجمل فكان ذلك مطعناً فى ذكورته فضلاً عن فحولته.

وهذا ما يسميه البلاغيون بالتعقيد المعنوى؛ لأنه لا ينتقل من وصف الجمل أو البعير بالصعيرية إلى أصالته وفحولته ، وإنما ينتقل من الوصف بهذه الصفة إلى الأنوثة والضعف والرخاوة.

وقد لعبت الأسواق الأدبية – فى العصر الجاهلى – دوراً كبيراً فى تطور اللمحات النقدية وتعميقها تلك الأسواق التى كانت تقام كل عام فى موسم الحج – مثل سوق ذى المجاز ، وسوق مجنة ، وسوق عكاظ، وكانت القبائل تفد إلى تلك الأسواق من كل أنحاء الجزيرة لقضاء الحج ولأغراض أخرى كالتجارة ، والنظر فى الخصومات القائمة بين القبائل، وقضاء الديون، وإنشاد الشعر.

إلا أن أهم تلك الأسواق وأخطرها بالنسبة إلى الأدب هو سوق عكاظ، فقد كان يقام فيه كل عام مهرجان للشعر – إن صح هذا التعبير – عقب موسم الحج تتبارى فيه العقول ، وتتسابق قرائح الأدباء ، يغتنم الشعراء فرصة اجتماع القوم لقضاء شئونهم فينشدون ما جادت به قرائحهم ، وما نظموه من أشعار على مسمع من الجماهير المحتشدة ، وكان لكبار قريش الزعامة على تلك المحافل الأدبية لشرفهم، ومكانتهم الدينية ، فهم بنو إبراهيم ، وسدنة البيت وحراسه ، ولهجتهم أفصح لهجات العرب؛ ومن ثم فإن الشعراء كانوا يتخيرون الجيد من الألفاظ ،

والمألوف منها بين القبائل المختلفة عساهم ينالون استحسان قريش ورضاها، وقد كان المتقدمون من الشعراء يقومون بالحكم فى هذه المباريات الشعرية لما خصوا به من حسن الذوق ، ودقة النظر وصواب الحكم.

ومما يروى أن النابغة الذبيانى كانت تضرب له قبة حمراء من الجلد فى سوق عكاظ ، وكان الشعراء يؤمونه من كل حدب وصوب ينشدونه قصائدهم ، وكان النابغة يبدى ملاحظاته على معانى الشعراء وأساليبهم وألفاظهم . ويقال: إنه فضل الأعشى ميمون بن قيس على حسان بن ثابت فثار عليه حسان وقال له : إنى والله لأشعر منك ومنه ، فقال له النابغة : حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً (١٤)

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق

فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما (١٤)

فقال له النابغة : إنك لشاعر، لولا أنك قللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك(١٥). وتدل هذه الملاحظة على أن النابغة كان يعرف أن ما نسميه جمع المؤنث السالم ، وصيغة (أفعال) فى جمع التكسير تفيدان القلة ، وأن غيرهما من الصيغ كان أولى بالاستعمال فى هذا المقام ، فليس المقام هنا لصيغة (فعلات) وصيغة

(أفعال) اللتين تدلان على عدد محدود ، إنما المقام لغيرهما من الصيغ التى تدل على الكثرة غير المتناهية ليناسب الفخر.

وتفيدنا هذه الملاحظة أيضاً أن النابغة كان يعرف مفهوم بلاغة الكلام فى أدق صوره وأرقاها ، وهو المطابقة لمقتضى الحال ، إذ المقام للمباهات والفخر بصفات : الكرم والشجاعة وعراقة الأصل ، ولما لم يوف حسان هذا المقام حقه من المبالغات عابه النابغة واستدرك عليه.

"" وقد صارت هذه الإشارات باباً من أبواب البديع عند أسامة بن منقذ، سماه باب "" التفريط"" وقال فيه "" اعلم أن التفريط أن يقدم الشاعر على شئ فيأتى بدونه فيكون تفريطاً منه ، إذ لم يكمل اللفظ ، أو يبالغ فى المعنى ، وهو باب واسع عليه يعتمد النقاد والشعراء وهو مثال قول حسان بن ثابت:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

فرط فى قوله الجفنات ،، لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول : لدينا الجفان لأن العدد الأقل لا يفخر به ، وكذلك أسيافنا ، لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول : وبيض لنا ، وفرط من قوله ""الغر"" لأن السواد أمدح من البياض لكثرة الدهن والقرى فيه ، وفرط فى قوله "" يلمعن بالضحى "" وهو قادر أن يقول : "" بالدجى "" لأن كل شئ يلمع فى الضحى ؛ وفرط فى قوله ""يقطرن"" وهو قادر على أن يقول : يجرين لأن القطر قطرة بعد أخرى (١٦).

هذا ما يتعلق بنقد الشعر ، أما بالنسبة إلى الخطابة ، فقد روى الجاحظ ما يدل على مدى اهتمام الجاهليين بها ، واعتزازهم بالبيان فيها حتى فضلوه على كل ما عداه من مقومات الإنسان فقالوا: إنما المرأ بأصغريه قلبه ولسانه إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان (١٧).

وعرف الجاهليون عيوب اللسان التى تخل بفصاحة الخطيب وتقلل من مقدار قوله كالعى والحصر ، والفأفأة والتمتمة ، واستعاذوا بالله من شرها ، فقال النمر بن تولب:

أعذنى رب من حصر وعى ومن نفس أعالجها علاجاً (١٨)

وكما كانوا يستعيذون بالله من شر هذه العيوب كانوا يتمدحون بالسلامة منها فقال الهذلى: ابن أبى عنترة من سعد هذيل يرثى ابن عم له:

ألا لله درك مـن فتى قوم إذا رهبوا

وقالوا من فتى للحر ب يرقبنا و يرتقب

فكنت فتاهم فيهـا إذا يدعى لها يثب

إلى أن قال:

ولا حصر بخطبتـه إذا ما عزت الخطب

وقال غيره:

وما بى من عى ولا أنطق الخنا

اذا جمع الأقوام فى الخطب محفل (١٩)

وقال الآخر:

ولست بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهجر فى المنام(٢٠)

وكانوا يمتدحون بالخطباء الذين يطابقون بين الكلام والمقامات التى يقال فيها فيكتفون فى مقام الإيجاز بالإشارة ، والاقتدار فى مواطن الإطالة على الغزارة ، يقول الشاعر فى هذا المعنى:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

وإذا كان الإيجاز أصلا فى بلاغات اللغات فإنه فى بلاغة العرب أصل وروح وطبع وهو حد البلاغة عند أكثم صيفى حكيم الجاهلية فقد روى أنه خطب أمام كسرى ملك الروم خطبة بليغة وكان مما قاله فيها ((البلاغة الإيجاز)) وكأنما قد أنعم النظر فى الأساليب وسار فى خطبه على قاعدة معينة هى قاعدة الإيجاز ومن ثم فقد عرف البلاغة بأنها الإيجاز .(٢١)

ثالثاً: الكتابة:

أما بالنسبة إلى الكتابة فقد عرفها الجاهليون ، وألموا بالأصول التى يجب أن تراعى فيها روى أبو هلال العسكرى أن أكثم صيفى كان إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : افصلوا بين كل معنى منقض،

وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض وكان الحارث بن شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش : إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه ، فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ ؛ فإنك إذا مزقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمزق به نفرت القلوب من وعيها ، وملتها الأسماع واستثقلتها الرواة (٢٢).

وفى هذا ما يدل على معرفة الجاهليين بالمواضع التى يحسن فيها الفصل والمواضع التى يحسن فيها الوصل ، وهما من البلاغة بمكان حتى قصر بعضهم البلاغة على معرفتهما.

محصلة العصر الجاهلى:

من الملاحظات السابقة يتبين لنا: أن النقد فى العصر الجاهلى قد شمل أشهر الفنون الأدبية الموجودة فى ذلك العصر ، وأنه اتخذ صوراً مختلفة وأنماطاً متنوعة، وهو وإن كان فى أغلب أحواله نقداً ذوقياً يعتمد على إحساس فنى صادق ، يقوم به المجيدون من الشعراء، وذوو الدربة والعمل ، وعمدتهم فى نقدهم خبرتهم الطويلة بالشعر ونظمهم له ، إلا أننا لا نعدم بعض الأحكام المعللة ، كما فى نقد أم جندب لأمرى القيس ، ونقد طرفة للمتلمس ، ونقد النابغة لحسان بن ثابت.

وقد دلت تلك الملاحظات على معرفة الجاهليين للمطابقة لمقتضى الحال والكناية والتعقيد المعنوى ، ودلالات الألفاظ على معانيها ، ومواطن استعمالاتها ، والتفريط فى القول ، والفصل والوصل والعيوب التى تخل بفصاحة اللسان فاستعاذوا بالله من شرها وتمدحوا بالسلامة منها.

عرف الجاهليون هذه الألوان فنوناً قولية يطبقونها فى كلامهم دون أن يعرفوا لها اسماً أو يحددوا لها رسماً ، كما عرفوا أيضاً الإيجاز فى القول والإطناب فيه.

وتعد تلك الملاحظات لبنات متميزة فى صرح البلاغة العربية ومنارات أضاءت الطريق أمام الباحثين الذين أقاموا البناء الشامخ لهذا العلم الجليل.

((ملاحظات نقدية فى صدر الإسلام))

أخذت الملاحظات النقدية فى صدر الإسلام تنمو وتتسع بسبب تأثر الذوق العربى ببلاغة القرآن ، وفصاحة النبى صلى الله عليه وسلم. فقد نزل القرآن بأسلوب بهر العرب وأدهش عقولهم، وملك نفوسهم ــ وهم أساطين البلاغة وفرسان الكلام ــ لما فيه من جمال اللفظ ،و سمو المعنى ، وبراعة التصوير وقوة البيان.

جاء القرآن على هذا النمط الفريد من الفن القولى ، فسجدوا له بعد أن عجزوا عن مجاراته ولو فى أقصر سورة من مثله.

ومن ثم فإن العربى عندما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، إنما كان ذلك عن اقتناع مطلق وعقيدة صادقة بأن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من صنع بشر، ولا يستطيع أحد ــ مهما أوتى من بلاغة ــ أن يحاكيه ولو فى النذر اليسير منه.

فها هو ذا التاريخ يحدثنا عن عمر بن الخطاب الذى كان من ألد أعداء الإسلام وأشد الناس خصومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والمسلمين ، وكان النبى يدعو أن يعز الله الإسلام به ولكنه عندما سمع آيات من سورة طه أحس تفوق هذا الأسلوب الإلهى بقلبه فآمن أنه مما لا يد للناس بمثله ، وإنما هو طراز إلهى من القول العربى ومعجزة سماوية لهذا النبى الأمى ، فلم يملك إلا أن يعلن إسلامه لتوه. (٢٣)

لم يكن هذا رأى ما شاء الله أن يدخل الإسلام فحسب ، ولكنه كان رأى من عاند وكابر ولم يدخل فيه مثل عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة. فقد روى أن الأول ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه المال والجاه والسلطان عله يترك أمر الرسالة، فيتلو عليه النبى آيات من أول سورة فصلت إلى قوله: ((فأن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله)) فما أن يصل النبى إلى تلك الآية حتى يضع عتبة يده على فم النبى ويناشده الرحمن أن يكف عن ذلك الذى يتلوه عليه. ثم عاد إلى قومه ليقول لهم: والله لقد سمعت من محمد قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر ، يا معشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وما هو فيه ، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ، لقد كان عتبة بن ربيعة من بلغاء القوم يعرف منازعهم فى القول ويدرك إبداعهم لضروب البيان المختلفة ... ولكنه عندما يستمع إلى هذا النمط من البيان يأخذ عليه أقطار نفسه ... ويبلغ به التأثر النفسى أقصاه فيخاف من روعة ما سمع أن تنقض عليه الصاعقة ، ويسرع بيده إلى فم الرسول صائحاً: أمسك عليك يا ابن أخى ، ثم يرجع إلى قومه ليعلن إنفراد الأسلوب القرآنى بقوله : والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . (٢٤)

أما الوليد بن المغيرة فقد كان من أعلم الناس بالشعر والرجز والقصيد، وكان كثيراً ما يحرص على سماع القرآن من رسول الله، فبلغ ذلك أبا جهل فطلب منه أن يقول قولاً يدل على أنه كاره لما جاء به محمد فيعلن الوليد رأيه فى القرآن. بعبارة رائعة حيث يقول : والله ما يشبه الذى يقوله محمد شيئاً من هذا الشعر ولا ذلك الرجز ، والله ان لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه. (٢٥)

أخذ العلماء يبحثون عن سبب عجز العرب عن محاكاة النص القرآنى فنشأت العلوم العربية والإسلامية التى تعين على فهم القرآن وإدراك مراميه ، فألفت فى العصور الأولى كتب كثيرة فى معانى القرآن وإعرابه ومجازه ونظمه وإعجازه ، فألف فى معانى القرآن : واصل بن عطاء والكسائى والأخفش والرؤاسى ويونس بن حبيب والمبرد وقطرب النحوى والفراء وأبو عبيدة وابن الأنبارى والزجاج وخلف. (٢٦)

وألف أبو عبيدة فى مجاز القرآن، وألف الجاحظ فى نظم القرآن، وله كتاب آخر باسم المسائل فى القرآن ولبشر بن المعتمر كتاب فى متشابه القرآن ولمحمد بن يزيد الواسطى كتاب إعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه: ولابن الإخشيد كتاب نظم القرآن وألف الرمانى والخطابى والباقلاتى وعبد القاهر الجرجانى فى إعجاز القرآن ونظمه وتركيبه. (٢٧)

كل هذه التآليف وأولئك مما أثرى البحث البلاغى ووسع دائرته وهذب مسائله ، بل كان إرهاصا باستقلال علم البلاغة على يد الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى القرن الخامس الهجرى.

ثانياً: أثر الهدى النبوى :

أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان أفصح العرب وحديثه أعذب الحديث وكلامه فى الطبقة العليا من البلاغة بعد القرآن الكريم ، ولا عجب من ذلك فإنه لا ينطق عن الهوى وإنه من قريش ، ونشأ فى سعد بن بكر.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعتز ببلاغة منطقة ، وفصاحة أسلوبه فلم يصف نفسه بقوة الجاه ولا بعموم السلطان ولا بأنه أشرف خلق الله وإنما وصف نفسه بالفصاحة مما يدل على شرف قدرها ، وسمو مكانتها ومما يجب أن يتصف المسلم بها فقال : ((أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش)).

وتتجلى فصاحته صلى الله عليه وسلم فى أنه كان يعطى لكل مقام مقاله : فيطنب فى مقام الإطناب ، ويوجز فى مقام الإيجاز ، ويهجر الغريب الوحشى ، ويرغب عن الهجين السوقى ، ويخاطب كل قوم على مقدار طبقتهم وقوتهم فى المنطق.

فقد روى عنه أنه لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام كتب إليهم بما يسهل ترجمته ولا يخفى معناه على من له أدنى معرفة بالعربية.

ولما أرد أن يكتب إلى قوم من العرب كوائل بن حجر الحضرمى وأكيدر صاحب دومة الجندل فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم لسماع مثله (٢٨) يقول الجاحظ فى وصفه كلامه "" هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف استعمل المبسوط فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق (٢٩)

وقد كانت بلاغته صلى الله عليه وسلم : مما ترنو إليها النفوس وتهفو إليها القلوب ويعجب منها أساطين البلاغة وفرسان البيان حتى قال له على ابن أبى طالب: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لا نعرفه فمن علمك فقال صلى الله عليه وسلم : أدبنى ربى فأحسن تأديبى.

وقال له الصديق أبو بكر: لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذى هو أفصح منك ، فمن أدبك؟ فأجابه بمثل ما أجاب به عليا.

وقد أثرى النبى اللغة والأدب بتراكيب بلاغية جديدة لم ينطق بها أحد قبله. منها : قوله عند اشتداد الحرب فى بدر ((الآن حمى الوطيس)) وقوله ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)) قاله لأبى عزة الشاعر وكان يحرض عليه ويؤلب الناس ضده، فأسر يوم بدر، ثم من عليه وأطلقه فعاد إلى ما كان عليه ، ثم أسر يوم أحد وسأل النبى أن

يمن عليه ثانياً فقال له : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٣١) وهو كناية عن الفطنة والحذر.

وقوله ((إياكم وخضراء الدمن)) قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء تنبت فى المنبت السوء "" تشبيها للمرأة الجميلة الحسناء تتربى فى بيت غير شريف بالشجرة اليانعة التى تنبت فى مجمع الأبعار وموضع القاذورات"" وقوله ((هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ كبدها)) تشبيها لوجوه مكة وساداتها بالأكباد ، قاله عند خروج المسلمين يوم بدر لقتال المشركين.

ويروى عن على كرم الله وجهه أنه قال : ما سمعت كلمة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول ((مات حتف أنفه)) (٣٢) وما سمعتها من عربى قبله.

وإذا كان هذا من وصف كلامه صلى الله عليه وسلم فإنه طالما كان يوجه أصحابه ويرشدهم إلى تصفية كلامهم وتخليصه من كل ما يشينه فقد ورد نهيه لهم عن العيوب التى تخل بفصاحة كلامهم وتقلل من مقدار بلاغته كالثرثرة والفيهقة ، والتشادق والتقعر والتكلف فقال : ((إن أبغضكم إلى ، وأبعدكم منى مجلساً يوم القيام الثرثارون المتفيهقون)) وقال ((إياى والتشادق)) (٣٣).

والمقصود من هذا النهى ترك الغريب والحوشى من الكلام والبعد عن التكلف والتعقيد فى القول.

وكان صلى الله عليه وسلم ينكر السجع المتكلف ويمقته ، فقد روى عنه ذلك لمن جاءوه يكلمونه فى شأن الجنين بقولهم : أندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل أليس دمه يطل ؟ فقال : أسجعا كسجع الكهان ؟؟ (٣٤)

وهذا مما يدل على شدة إنكاره للتكلف فى القول والتصنع فيه.

وكان يأمر أصحابه بالإيجاز فى القول وعدم التكلف فيه ، فقد ورد عنه أنه قال ((نضر الله وجه رجل أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته)) وقوله لجرير بن عبد الله البجلى ((يا جرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف)) (٣٥).

وكان يوجه أصحابه أيضاً إلى أن يطابقوا بين كلامهم والمقامات التى يقال فيها مستشهداً لهم بقول سيدنا عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل ((لا تكلموا الحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم)). (٣٦)

ولعل هذا ما عبر عنه بقوله : ((أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)).

أما عن الشعر ونقده فقد كان عليه الصلاة والسلام ذواقاً للشعر ناقداً له فقد ورد عنه أنه قال : إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ، كما ورد عنه أنه قال : إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة. (٣٧)

قال ابن رشيق: قرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حكمة ، لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يصور فيه الحق بصور الباطل ، والباطل بصورة الحق : لرقة معناه ولطف موقعه (٣٨) وروى عنه أنه كان يعجب من قول طرفة بن العبد:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

ويقول: هذا من كلام النبوة

وقال: أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد:

((ألا كل شئ ما خلا الله باطل))

وإذا كان البلاغيون يقولون: إن لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً فإن النبى قد أرشدهم إلى هذا ولفت نظرهم إليه ، فمع شدة إعجابه بقصيدة كعب بن زهير "" بانت سعاد فقلبى اليوم متبول""

يصلح له قوله فيها:

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

ويجعله: مهند من سيوف الله مسلول.

وما انطوى عليه هذا التعديل نقد يوجه به الرسول كعباً إلى صواب القول فإن سيوف الله هى التى لا تفل ، ولا تنبو ظباتها ، ولا تحيد عن مواطن الحق . وأن مرد القدرة والأمر كله لله (٣٩) وبهذا

التعديل سلم البيت من تكرار الهاءات فى مهند والهند وارتقى إلى الدرجة العليا من البلاغة.

ثالثاً: دور الصحابة :

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم نقاد ابصيرين بمحاسن الكلام ، يستطيعون بفطرتهم اللغوية وذوقهم العربى الأصيل أن يميزوا جيد الكلام من رديئه فقد روى عن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه أنه كان يقدم النابغة على غيره من الشعراء. ويقول عنه ((إنه أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً)) (٤٠)

ومما هو مشهور عنه : أنه مر برجل يحمل ثوباً فظن أنه يريد بيعه ، فقال له: أتبيع هذا الثوب ؟ فأجابه الرجل بقوله : لا، عافاك الله . وتأذى الصديق مما يوهمه ظاهر اللفظ ، إذ يوهم الدعاء عليه لا الدعاء له، فقال مرشداً الرجل إلى ما ينبغى أن يقال فى الإجابة عن مثل هذا السؤال : لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل : لا ، وعافاك الله.

وهذا التوجيه منه رضى الله عنه يدل على معرفته بفنون القول ، وأسرار التراكيب ومواضع فصل الجمل ووصلها ، وما زالت تلك العبارة تدرس فى كتب البلاغة فى باب الفصل والوصل كمثال من أمثلة الوصل لكمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب ناقداً للشعر ذواقة له "" وكان الناس يعرفون له هذا ويعترفون له به ، ويحتكمون إليه فى أمر الشعر ، وينزلون عند رأيه ، وقد أثر عنه فى هذا الشأن شئ كثير ، وأحكامه

ونظراته الصادقة فى الأدب تعد رائدة لتطور النقد ، فى قيامه على أسباب موضوعية مفصلة ، وعلل وأصول واضحة (٤١).

فقد روى عنه أنه قدم زهير بن أبى سلمى وعلل تقديمه إياه بأنه كان لا يعاظل فى الكلام ، ويتجنب حوشى الألفاظ ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه (٤٢) وإذا كانت القضية الثالثة تقوم على أساس دينى خلقى ، لأنها تعنى أن زهيراً كان صادقاً فيما يقول لا كذب فى شعره ولا تزيد ، فإن القضيتين الثانية والثالثة من صميم بحوث البلاغة اذ المعاظلة فى الكلام: أن يركب بعضه بعضاً ، ويتداخل حتى يصعب نطقه ، أو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فى نظمه وتركيبه ، وهذا ما يسمى فى عرف البلاغيين بتنافر الكلمات ، أو التعقيد اللفظى ، أما حوشى الألفاظ فهو الوحشى الغريب منها ، وكل ذلك من العيوب المخلة بفصاحة الكلام وبلاغته.

وأنه كان يعجب من بيت لزهير به صحة تقسيم وهو قوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء (٤٣)

فقد روى عنه أنه كان يكثر من ترديد هذا البيت ويقول : لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته به (٤٤).

وروى عن ابن عباس أنه قال : قال عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فأنشدته قوله فى مدح هرم بن سنان:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فقال له عمر:ما كان أحب إلى لو كان هذا الشعر فى مدح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أطربه هذا الشعر لم فيه من المبالغة المقبولة ، وسلامة معناه وحسن صياغته .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ــ على زهده ونسكه ــ يتذوق الشعر وينظر فيه وينقده ، أنشد قول زهير:

ومهما يكن عند امرى من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فأعجبه صواب معناه وقال : أحسن زهير وصدق ، فلو أن رجلاً دخل بيتاً فى جوف بيت لتحدث الناس به.

وقد أثر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية ، فجروا معاً علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة.

فقيل له: ومن هو؟ فقال الكندى يعنى امرأ القيس ، قيل : ولم؟ قال لأنى رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة.

والإمام على بهذا القول الموجز يوجه النقاد إلى أهمية رعاية اتحاد الزمن بين الشعراء عند نقدهم والموازنة بينهم ، واتحاد الغرض الذى يقولون فيه أيضاً ، ويوضح أن من أسباب تفضيل شاعر على آخر حسن نوادره وسبقه إلى الإبداع والاختراع. (٤٥)

كما روى عنه أيضاً أنه عرف البلاغة بقوله : البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل ،،

قال أبو هلال ومثله قول الحسن : البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات.

وقريب من قوله الحسين بن على رضى الله عنهما: البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة.

ومثله قول محمد بن على رضى الله عنهما : البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ. (٤٦)

ومع أن هذه التعريفات متقاربة فى المعنى إلا أنها فى ذلك الوقت المبكر تعد إشارات واضحة على طريق البحث البلاغى.

محصلة عصر النبوة والخلفاء :

وهكذا خطا النقد الأدبى فى عهد النبى والخلفاء خطوات واسعة إلى الأمام مسترشداً بأسلوب القرآن وبلاغته، وفصاحة النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته فرأينا إنكار السجع المتكلف ، والنهى عن الثرثرة والفيهقة والتشادق، وأن لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً والحث على الإيجاز فى القول ، ووجوب المطابقة بين الكلام والمقامات التى يقال فيها فى أسلوبه صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته لأصحابه.

كما رأينا الوصل بين الجمل لإيهام الفصل خلاف المراد فى توجيه سيدنا أبى بكر لحامل الثوب، ورأينا تقديم سيدنا عمر بن الخطاب لزهير بن أبى سلمى لسلامة شعره من الغريب و الوحشى والتنافر والتعقيد وأن من شرط الموازنه بين الشعراء عند على كرم الله وجهه اتحاد الزمن والغرض، وأن من أسباب تفضيل شاعر على آخر حسن نوادره وسبقه إلى الإبداع والاختراع . ورأينا أيضاً تعريف البلاغة بأنها: إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل.

((المناخ الأدبى فى العصر الأموى))

ازدهر النقد فى عصر بنى أمية وكثرت الملاحظات التى تتصل ببلاغة الكلام وحسن صياغته وجمال أسلوبه. فقد انتعشت الحركة الأدبية فى ذلك العصر انتعاشاً فرضته طبيعة الحياة الجديدة للدولة الإسلامية فقد تغير نظام الحكم عما كان عليه فى عهد الخلفاء الراشدين، وذلك أن استيلاء معاوية على مقاليد الأمر كان ارتداداً عن مبدأ الشورى والديمقراطية الذى ظل يحكم عملية اختيار الخلفاء طيلة عهد الراشدين ، كما كان إيذاناً بتحول الحكم إلى ملكية وراثية يتلقفها صاغر عن كابر وبداية مباشرة لظهور الأحزاب السياسية . كالأمويين والشيعة والخوارج والزبيريين والتى سرعان ما نشأ بينهما صراع رهيب على السلطة.

فالأمويون يعتبرون أنفسهم أحق بالخلافة ممن سواهم بدعوى أنهم ورثة عثمان وعصبته والشيعة يرون أن الخلافة حق لعلى وأبنائه استحقها بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم له فمن نازعهم هذا الحق كان ظالماً.

والخوارج يعتبرون الخلافة حقاً للمسلمين جميعاً يتولى أمرها أكثرهم قدرة على النهوض بأعبائها وتحمل تبعاتها.

والزبيريون يرون أن الخلافة يجب أن تكون لقريش دون عامة الناس بشرط أن يختار لها من القرشيين أتقاهم وأقدرهم على تحمل مسئولياتها. وليس أحق بها فى نظرهم من عبد الله بن الزبير، ومن الطبيعى أن يكون لكل حزب خطباؤه وشعراؤه الذين يشيدون به ، ويدافعون عنه ، ويؤلفون القلوب حوله ، ويؤلبون النفوس ضد أعدائه ،

فظهرت طائفة من الشعراء والخطباء السياسيين وقفوا أنفسهم للدفاع عن أحزابهم ينصرونها بقوة البيان ، ويشيدون بمبادئها فى قصائدهم ، ومن هؤلاء: جرير والفرزدق والأخطل و الكميت وابن قيس الرقيات، فالكميت شعار بنى هاشم،وابن قيس

الرقيات شاعر الزبيريين، وقد صار شعر هؤلاء غذاء للعصبيات، ومادة للمفاخرات والمنافرات، هذا على المستوى السياسى. أما على المستوى الاجتماعى فقد عمل خلفاء بنى أمية على إحياء العصبيات القبلية القديمة ، وعودة ذلك الصراع الحاد الذى حرص الإسلام على إطفائه فظهرت طائفة من الشعراء الهجائين أكثروا من الهجاء وعاشوا عليه، وتبادلوا المناقضات يحيون بها العصبية ويورثون العداوة، ويتبارون فى فنون الهجاء القزع بالتباهى بأحساب الجاهلية ومآثرها ونبش ما دفنه الإسلام من مثالب القبائل ومعايبها.

ويمثل هذه الطائفة: جرير و الفرزدق والأخطل والراعى والبعيث فقد قذفوا كل عرض وانتهكوا كل حرمة حتى كان الناس يستجيرون بقبر غالب والد الفرزدق من هجائه.

كذلك عمل خلفاء بنى أمية على شغل شباب بنى هاشم الموجودين بالحجاز فأخذوا ينفقون عليهم الأموال الطائلة ويغرونهم بالخيرات الكثيرة ويسلطون عليهم الغنى والفراغ ليصرفوهم عن التفكير فى شئون الخلافة ، وسياسة الدولة ، فانصرفوا إلى مجالس اللهو والغناء، وتتبع النساء ، ومغازلة الحسان ، والتعرض لهن فى كل مكان فظهرت طائفة من شعراء الغزل العابث كعمر بن أبى ربيعة و جميل بثينة

وكثير عزة ــ فقد كانت قصائدهم تفيض بالعبث والمجون ، وتذخر باللذات العارمة حتى شاع هذا اللون من الغزل وفتن الناس بروعته وسحره.

ثم هناك الاستقرار النسبى الذى نعمت به الدولة الإسلامية بعد الفتوحات التى تحققت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الخلفاء الراشدين، هذا الاستقرار أتاح الفرصة للمسلمين أن يتجهوا نحو كتاب الله وسنة رسوله يستخرجون ما فيهما من جمال اللفظ وسمو المعنى وسحر البلاغة وروعة البيان.

يضاف إلى كل ما سبق اهتمام الخلفاء بالشعر والشعراء، وتشجيع المنافسة بينهم وقد ظهر هذا الاهتمام واضحاً فى قصور الخلفاء ومجالسهم فكان الشعراء يأتونهم من كل مكان لينشدوا أشعارهم، وكان الشاعر ينال من الجوائز بقدر ما فى شعره من جودة سبك ودقة معنى وحسن بيان.

لهذه الأسباب وغيرها نشطت الحركة الأدبية فى عصر بنى أمية وبالتالى كثرت الملاحظات النقدية التى شملت كل فنون القول شعره ونثره.

صور من النقد فى عصر بنى أمية

يروى أن وفداً من العراق قدم على معاوية فخطبهم قائلاً ""مرحباً بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير يبر كبيركم، ويرحم صغيركم، ولو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء"" فقام صعصعة بن صوحان وكان من فصحاء عصره فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ثم قال : أما قولك: انا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمرى ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم.

وأما قولك: منها المنشر ، وإليها المحشر، فلعمرى ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمناً.

وأما قولك: لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء، فقد ولدهم خير من أبى سفيان آدم صلوات الله عليه ، فكان منهم الحليم والسفيه، والجاهل والعالم (٤٧).

فالنقد الذى وجهه ابن صوحان ينصب على دقة المعنى وصوابه، فأقدار الناس ومنازلهم لا تقاس إلا بالمقياس الإسلامى الذى يتمثل فى الأعمال الصالحة التى تنفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، وليس للأرض التى يعيش عليها الإنسان دخل فى تفضيله على غيره ، فقد جعل الإسلام مناط التكريم هو التقوى، حيث قال ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) (٤٨)

وإذا كان مناط التكريم هو العمل الصالح فلا يضر المؤمن بعد المنشر والمحشر ولا ينفعه قربهما.

القضية الثالثة التى نقد ابن صوحان معاوية: دعوى أن الناس لو كانوا من ولد أبى سفيان لكانوا جميعاً حلماء عقلاء، وهذا ما أنكره الإسلام على الجاهلية فقد أنكر عليها عصبيتها الهوجاء ونظرتها العرقية والعنصرية الضيقة فالمسلمون جميعاً فى نظر الإسلام سواسية فى المصدر والمصير، كلهم لآدم وآدم من تراب ، فتفضيل ولد أبى سفيان من وجهة نظر الإسلام مرفوض شكلاً وموضوعاً فقد ولد الناس آدم عليه السلام وهو أفضل من أبى سفيان، ومع ذلك فمنهم السفيه والحليم ومنهم العاقل والجاهل.

ومما يروى أن الفرزدق والأخطل وجريرا اجتمعوا فى مجلس عبد الملك بن مروان فقال : ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه فأيكم غلب فله هذا الكيس، وكان به خمسمائة دينار، فقال الفرزدق:

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل:

فان تك زق زاملة فإنى أنا الطاعون ليس له دواء (٤٩)

وقال جرير:

أنا الموت الذى آت عليكم فليس لها ربٍ منى نجاء

فقال عبد الملك لجرير: خذ الكيس فلعمرى إن الموت يأتى على كل شئ.

فالأساس الذى اعتمد عليه عبد الملك فى المفاضلة بين الشعراء الثلاثة هو مدى مبالغة كل منهم فى وصف نفسه ليناسب مقام الفخر.

وتدلنا هذه الملاحظة على أنه كان يعرف المبالغة كفن من فنون القول وأنها مما تناسب مقام الفخر: فقد أعطى الجائزة لمن هو أكثر مبالغة فى قوله.

ولقى عبد الملك بن مروان بمجلسه أعرابياً أعجبه حديثه ، فسأله: ألك علم بالشعر؟ فأجابه: سلنى عما بدا لك يا أمير المؤمنين.

فقال : أى بيت تقوله العرب أمدح ؟ قال قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قال عبد الملك: فأى بيت تقوله أغزل؟ قال قول جرير:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال: فأى بيت تقوله أفخر؟ قال قوله أيضاً:

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال: فأى بيت أهجى؟ قال قوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وكان جرير جالساً، فهم أن يعطيه جائزته فأرضاه عنه عبد الملك فهذا نقد للشعر بالموازنة بين ما قيل منه فى كل فن من أشهر فنونه، والحكم عليه، وهو وإن لم يفصل ولم يعلل فقد حرك القريحة للتأمل والنظر (٥٠)

ويروى أن ابن قيس الرقيات مدح عبد الملك بن مروان بقصيدته البائية فلما وصل إلى قوله:

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

لم يرض عبد الملك أن يمدح بأشياء تتصل بالزينة والشكل وكل ما يتصل بأوصاف الجسم وقال له:

قد قلت فى مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم، وأعطيتنى من المدح مالا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة.

وقد قال العلماء: إن هذه الملاحظة هى التى ألهمت قدامة بن جعفر فكرة أن يكون المديح بالفضائل النفسية، لا بأوصاف الجسم ، وما يتصل بها من الحسن والبهاء والزينة (٥١)

وكان ذوالرمة ينشد إحدى قصائده بسوق الكناسة بالكوفة، فلما انتهى إلى قوله:

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فلما سمعه ابن شبرمة صاح قائلاً "" أراه قد برح "" وكأنه لم يعجبه التعبير بقوله: "" لم يكد "" فكف ذوالرمة ناقته وجعل يتأخر بها و يفكر، ثم عاد فأنشد:

إذا غير النأى المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح (٥٢)

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ناقدة بارعة يأتى إليها الشعراء لينشدوا قصائدهم بحضرتها وكانت تلفتهم إلى ما فى شعرهم من أخطاء أنشد نصيب قوله:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فياويح قلبى من يهيم بها بعدى

فعاتبته بأنه صرف همه إلى من يعشقها بعده، وفضلت أن يقول:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

وسمعت الأحوص يقول:

من عاشقين تراسلا وتواصلا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح النهار تفرقا

ففضلت أن يجعل مكان "" تفرقا"" "" تعانقا""

وسمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة:

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب (٥٣)

قال كالمتعجب: لولا القافية لبلغ به آدم.

وهذا مما يدل على معرفته لفنون القول، وضروب البيان ، وقد سمى العلماء هذا اللون من البلاغة ((الاطراد)) وعرفوه بأنه : "" الإتيان بأسماء الممدوح ، أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة ، من غير تكلف

فى السبك ، حتى تكون الأسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه"" (٥٤) ومثلوا بأمثلة منها هذا البيت.

ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدته التى أولها:

أتصحوا أم فؤادك غير صاحى

فقال له عبد الملك: بل فؤادك أنت (٥٥) وكأنه استثقل هذه المواجهة مع علمه بأن الشاعر يخاطب نفسه، وليس الخطاب موجهاً له.

ودخل ذو الرمة عليه فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته التى مطلعها:

"" **ما بال عينيك منها الماء ينسكب**""

وكانت بعين عبد الملك ريشة وهى تدمع أبدا فتوهم أنه يخاطبه ، أو يعرض به ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ، وأمر بإخراجه(٥٦)

وهاتان الملاحظتان تدلان بمنطوقهما على معرفة عبد الملك لقبح الاستهلال وتدلان بمفهومهما على معرفته لبراعة الاستهلال ، وهذان اللونان من ألوان البلاغة التى اهتم العلماء بدراستها ، فقالوا فى الأول : وينبغى أن يتجنب فى المديح ما يتطير به.

ومثلوا له بالمثالين السابقين، وقالوا عن الثانى : إنه أول ما يقرع السمع فإذا كان عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى وعى

جميعه وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفض وإن كان فى غاية الحسن (٥٧)

ويروى أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك بن مروان فقالت له: يا أمير المؤمنين، مشت جرذان بيتى على العصى ، فقال : ألطفت فى السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حباً (٥٨) وتدل إجابة سليمان لتلك السائلة على أنه كان يعرف التعريض كفن من فنون القول الراقية التى تتناسب وخطاب الملوك والخلفاء.

"" محصلة العصر""

وهكذا ازدهر الأدب والنقد إزدهاراً يواكب الحياة الجديدة للدولة الإسلامية فى عصر بنى أمية ، وذلك لتعدد الأحزاب السياسية التى كانت تحتاج إلى شعراء وخطباء يؤيدونها ويدافعون عنها.

ثم اهتمام الخلفاء والأمراء بالشعر ونقدهم له جعل الشعراء يتنافسون فى التفوق والإجادة لعلهم يفوزون بالجوائز التى كان يمنحها الخلفاء لهم ، يضاف إلى ذلك أن حياة الترف والرخاء التى نعم بها كثير من الشعراء جعلتهم ينصرفون إلى الغزل ويكثرون من مجالس اللهو والغناء مما أثرى الأدب وأفسح مجال النقد، فرأينا الإشارة إلى فنون بلاغية مهمة وردت على ألسنة الخلفاء كالمبالغة والاطراد والتعريض وبراعة الاستهلال ، وعكسه ، ورأينا كذلك نظريات تعد رائدة فى مجال النقد الأدبى وهى وجوب أن يكون المديح بالفضائل النفسية لا بأوصاف الجسم وما يتصل بها من البهاء والزينة وبالجملة فقد خلف ذلك العصر تراثاً نقدياً هائلاً كان له أثره الواضح فى ظهور المصنفات النقدية والبلاغية فيما بعد.

[[إتساع دائرة النقد فى العصر العباسى]]

تنتسب الدولة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد قامت دولة بنى العباس على أكتاف الفرس الذين ظلوا يدعون لها سراً ويكونون الجيوش التى حاربت الأمويين، حتى تمكن العباسيون من الاستيلاء على السلطة. يقول داود بن على عم أبى العباس السفاح "" إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا ، وأظهر بهم دولتنا"".

لقد كان الفرس أرباب حضارة عريقة وأصحاب مجد تليد قد غلبوا على أمرهم وخضعت بلادهم للحكم العربى . والمغلوب دائماً يحاول أن يبحث عن متنفس لما يغلى فى صدره، وها هى ذى الفرصة قد سنحت لهم ، فراحوا يفرضون سلطانهم على الدولة الوليدة عساهم يستعيدون شيئاً من عزهم الغابر ومجدهم المفقود، وكان لهم ما أرادوا فقد استعان بهم الخلفاء فى كل الشئون : السياسية والعسكرية والإدارية فاتخذوا منهم الوزراء والقواد والولاة والكتاب ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى النسب والمصاهرة، فاختلطت الدماء العربية بغيرها من الدماء الأجنبية حتى رأينا الكثير من العلماء والأدباء ، بل الأمراء والخلفاء كانوا من أمهات غير عربيات كالهادى والرشيد والمأمون والمعتصم، ونشأ جيل جديد فى المجتمع العربى عرف باسم ((المولدون)) وهم الذين ولدوا من أمهات غير عربيات، أو من أصول غير عربية.

أحس هؤلاء المولدون بالحاجة الماسة إلى تعلم اللغة العربية وإتقانها و اكتناه أسرارها واستخراج كنوزها لينالوا حظهم من السلطان ، ويحققوا آمالهم من الشهرة وذيوع الصيت إذ كانت الوظائف المرموقة ، والمناصب العليا تتمثل فى الكتابة والترجمة وتأتى عن طريق النبوغ فى العلوم العربية والإسلامية وترجمة العلوم الأجنبية لهذه الدولة الفتية التواقة إلى المعارف ، المتطلعة إلى تحصيل مختلف العلوم والثقافات.

ومن ثم أخذ المولدون يتجهون إلى علوم العربية يدرسونها بعمق، ويتعرفون أسرارها ويستخرجون كنوزها.

فها هوذا عبد الحميد الكاتب يوصى أهل صناعته بتحصيل علوم اللغة والدين فيقول "" تنافسوا يا معشر الكتاب فى صفوف الآداب ، وتفهموا فى الدين ، و ابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل، ثم بعلم العربية فإنها نفاق ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه همتكم"" (٥٩) هذه وصية إمام من أئمة أهل الصناعة ، ورأس من رؤوس الفرس ، عرف كيف يصل إلى أعلى المناصب فى الدولة الإسلامية. وتقفنا هذه الوصية على مدى حرص الموالى والمولدين على تحصيل الثقافة الإسلامية والعربية، إذ لا سبيل إلى ارتقاء ما تسمو إليه همتهم إلا بذلك.

فنبغوا فى كل فروع اللغة وآدابها ، ورأينا منهم أعلاماً فى كل علم وفن قدموا للدين واللغة أجل الخدمات وأفنوا حياتهم فى الدفاع عن الإسلام. ويكفى أن نعلم أن منهم : سيبويه، وأبا حنيفة ، والبخارى ،

وعبد القاهر الجرجانى وجار الله الزمخشرى ، وفخر الدين الرازى ، وقدامة بن جعفر ، وأبا هلال العسكرى.

وقد ترك هذا التنافس الفكرى والثقافى آثاراً بعيدة المدى فى ازدهار الأدب ، وتنوع فنونه من كتابة وخطابة وشعر فنال كل فن من هذه الفنون حظه اللائق به ومكانته التى تتناسب مع تطور الحياة وتقدمها فى دولة بنى العباس ، فارتقى فن الكتابة وبلغ مبلغاً عظيماً من السمو والرفعة وصارت لها طرق متعددة ، وأنواع مختلفة ، فهناك الرسائل الرسمية التى يصدرها ديوان الخليفة ، والرسائل الإخوانية التى يكتبها الأصدقاء بعضهم إلى بعض والرسائل الأدبية المطولة التى يكتبها البلغاء والأدباء مثل رسائل ابن المقفع ورسائل الجاحظ والتى منها: البخلاء والحاسد والمحسود.

وامتازت كتابة ذلك العصر بسعة الخيال ، وعمق المعنى والتأنق فى اختيار الألفاظ والإكثار من المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق والتوريه ومن أشهر الكتاب : ابن المقفع ، والجاحظ وابن العميد.

أما الخطابة فقد كان لها المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ، فهى لسان الخلفاء والأمراء، قامت عليها الدولة ونهضت بها واعتمدت عليها فى جذب القلوب ، وكسب الأنصار وليس ذلك فحسب ، بل كانت الحاجة إليها ماسة فى تثبيت دعائم الملك ، وتوطيد أركان الدولة وحماية الخلافة، وتهديد المعارضين ، ومجادلة الخصوم.

وامتازت الخطابة فى العصر العباسى بجمال أسلوبها وفخامة ألفاظها وقوة تأثيرها وروعة تصويرها ، وتأثرها بأسلوب القرآن والاستشهاد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما الشعر فقد تطور تطوراً يناسب رقى الحياة وازدهارها فلقد وجد الشعراء من مظاهر الحضارة مالا عهد لهم به فأخذوا يصفون القصور والرياض والزهور والجداول والغدران، بعد أن كانوا يصفون الرمال والصحراء والناقة وثاروا على مطالع القصائد ولا سيما تلك التى تصف الأطلال، وتبكى الديار واستبدلوا ذلك بوصف الخمر أو الغزل أو وصف الطبيعة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية جعلوا مطالع القصائد دالة على الغرض الذى قيلت فيه ، وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال كما جعلوا البيت الأخير مؤزنا بانتهاء القصيدة وهو ما يسميه البلاغيون ((بحسن الانتهاء)) وعنوا باختيار ألفاظهم فجعلوها مناسبة للمقام رقة أو فخامة وسهولة أو جزالة وشاعت فى شعر هذا العصر المحسنات البديعية: كالطباق والجناس والتورية ورد العجز على الصدر .. إلخ.

وتبعاً لتطور الأدب وتنوع فنونه وتعدد مذاهبه تعددت مظاهر النقد وطرائقه وكثرت الملاحظات البيانية التى تتصل ببلاغة الكلام ، وتهدف إلى سلامته من العيوب التى تخل بفصاحته. كما تعددت البيئات النقدية فهناك النقاد اللغويون والنقاد الشعراء والنقاد الكتاب، ولكل منهم طريقته ومنهجه فى النقد فاللغويون كأبى عمرو بن العلاء والأصمعى وخلف الأحمر وابن الأعرابى والخليل بن أحمد وأبى عبيدة وسيبويه وابن قتيبة ، هؤلاء وغيرهم من اللغويين يعتبرون أنفسهم حراساً على

اللغة وسدنة لها فكانوا يلاحظون ظواهر اللغة وتطورها ويسجلون ملاحظاتهم عليها ولم يلبثوا أن

جمعوا مادتها ووضعوا نحوها وصرفها وعروضها وعنوا مع ذلك برواية الشعر ونقده (٦٠).

وعلى الرغم من اتفاق اللغويين على هدف واحد وهو المحافظة على اللغة من آفات اللحن وصيانة اللسان العربى من اللكنة ورطانة الأعجمى إلا أنهم لم يتفقوا على مذهب موحد يرتضونه جميعاً، ويسيرون عليه فى النقد فانقسموا إلى فريقين متميزين لكل فريق مذهبه ومنهجه الخاص به:

فالفريق الأول يتزعمه أبو عمرو بن العلاء المتوفى : ١٥٤ هـ ومذهبه الإشادة بشعر الجاهليين والتعصب على المحدثين. والفريق الثانى : يتزعمه خلف الأحمر المتوفى ١٨٠ هـ ، ومذهبه الاعتدال وعدم التعصب وإنصاف المحدثين.

كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان حدث أبو عبيدة الجاحظ عنه فقال: (كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس وكانت كتبه عن العرب الفصحاء وعامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية) (٦١) ولكنه كان شديد التعصب على المحدثين حتى قال فى شعر جرير والفرزدق وأشباههما: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته (٦٢) وكان شديد التعصب للقدماء فلا يعد الشعر إلا ما كان للجاهليين فقد حكى الجاحظ عن الأصمعى قوله: جلست إلى أبى

عمرو عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى (٦٣) وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح وقطعة نطع (٦٤).

وقد تصل العصبية بالناقد من هؤلاء إلى أن يناقض نفسه ويرجع عن حكمة دون أن يعترف بالفضل لمحدث يقول القاضى الجرجانى : وما أكثر أن ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جلة الرواة من يلهج بعيب المتأخرين فإن أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ، ونقض قوله ، ورأى تلك الغضاضة أهون محملاً، وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث والإقرار بالإحسان لمولد. حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أنه قال : أنشدت الأصمعى:

هل إلى نظرة إليك سبيل فيبل الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب القليل

فقال : والله هذا الديباج الخسروانى لمن تنشدنى؟ فقلت : إنهما لليلتها فقال : لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر (٦٥)

فقد أعجب الأصمعى بهذا الشعر أشد الإعجاب وأطرب لسماعه حتى سأل عن قائله فلما علم أنه لمحدث رجع عن رأيه ولو أدى ذلك أن يكذب نفسه ، وينقض حكمه.

ويتابع ابن الأعرابى: أبا عمرو والأصمعى فى الإزراء بشعر المحدثين والإشادة بشعر القدماء. فقد روى أنه أنشد أبياتاً من شعر أبى تمام وهو لا يعرف قائلها فاستحسنها وأمر بكتبها. فلما عرف أن أبا تمام قائلها قال : خرقوا (٦٦)

وروى عنه قوله فى شعر أبى تمام: إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل (٦٧) ولم يقتصر نقد اللغويين على شعر المحدثين من معاصريهم بل امتد ليشمل شعر الجاهليين ، فقد روى عن الأصمعى أنه نقد قول امرى القيس فى وصف فرسه:

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

""الخيفانة : الجرادة ، ويقال : فرس خيفانة على التشبيه لها بالجرادة ، لخفتها وضمورها"".

قال الأصمعى فى نقد البيت : شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو ""الغمم"" والذى يحمد من الناصية ""الجثلة"" وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس "" غماء"" والغمم مكروه ، ولم تفرط فى الخفة فتكون الفرس "" سفواء"" والسفاء أيضاً مكروه فى الخيل.

والجيد ما قاله عبيد بن الأبرص:

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب (٦٨)

"" يقال: فرس مضبر الخلق : أى موثق الخلق ، والسبيب : شعر الناصية""

وتدلنا هذه الملاحظة على أن الأصمعى كان يعرف التشبيه وأركانه حيث ذكر هنا المشبه والمشبه به وأثر التشبيه فى المعنى مبيناً أنه من التشبيه الردئ. كما تدلنا على معرفة واعية بالألفاظ ودلالاتها ومواطن استعمالاتها فقد ذكر معنى : الغمم والغماء ، والسفاء والسفواء، والجثلة ، ثم بين ما يناسب المقام من هذه المعانى ومالا يناسبه.

هذا بالنسبة إلى الغلاة والمتعصبين على المحدثين، أما بالنسبة إلى المعتدلين من أمثال : خلف الأحمر والجاحظ وابن سلام وابن قتيبة والمبرد فقد ساءهم ما وجدوا عليه أسلافهم ومشايخهم من التعصب للقديم ، والإشادة به ، واحتقار الحديث والحط من شأنه لمجرد حدوثه ، وكأن الله قد خص القدماء بالبلاغة وقصرها عليهم فلا يجب أن يوصف بها غيرهم ، مع أن بلاغة القول والإجادة فيه ليست مقصورة على قوم دون سواهم ولا على زمان دون غيره من الأزمنة وإنما جعل الله ذلك قاسماً مشتركاً بين عباده جميعاً بغض النظر عن الزمان والمكان والجنس يقول ابن قتيبة فى مقدمة كتابه ((الشعر والشعراء)) "" لم أنظر إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلاً حقه ، ووفرت عليه حظه ، فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده ، وجعل كل قديم منهم حديثاً فى عصره ... فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو

ابن العلاء يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم "" (٦٩)

وإذا كانت هذه النصوص تكشف عن اتجاههم ومذهبهم فى إنصاف المحدثين، فقد طبقوا هذا المذهب فى نقدهم للشعر والموازنة بين الشعراء ، فها هوذا خلف الأحمر الذى كان لا يشق له غبار فى النقد ولا يجرى معه أحد فى حلبة هذه الصناعة وكان أروى الناس للشعر ، وأعلمهم بجيده ، نراه يفضل بعض شعراء عصره من المحدثين على بعض شعراء الجاهلية ، فقدم مروان بن أبى حفصه على أعشى بكر ، روى ذلك ابن عبد ربه قال: وقال مروان بن أبى حفصة لما مدحت المهدى بشعرى الذى أوله:

طرقتك زائرة فحى خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على نضراء البصرة فدخلت المسجد الجامع فرأيت يونس النحوى فجلست إليه فقال : يا ابن أخى إن ههنا خلفا ، ولا يمكن لأحدنا أن يسمع شعراً حتى يحضر ، فاذا حضر فأسمعه ، فجلست حتى حضر خلف الأحمر. فلما جلس جلست إليه وأنشدته حتى أتيت على آخره ، فقال لى: أنت والله كأعشى بكر ، بل أنت والله أشعر منه حيث يقول:

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك فما تقول بدالها (٧٠)

فهذه القصة وإن لم تبين سبب تفضيل خلف لمروان بن أبى حفصة على الأعشى إلا أنها تدلنا على إنصاف هؤلاء النقاد للمحدثين ، وعدم تعصبهم للجاهليين ومع أن مقياس جودة الكلام عند النقاد اللغويين

هو موافقته لقواعد اللغة من حيث : نحوها وصرفها وعروضها إلا أنهم بجانب ذلك يعتمدون على الذوق كأداة مهمة للتمييز بين جيد الكلام من رديئه ، وهذا الذوق لا سبيل إلى تحصيله إلا بالممارسة والدربة والخبرة الطويلة برواية الشعر ونقده يقول ابن سلام : للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات (٧١) ثم يروى عن خلف الأحمر ما يؤكد ذلك فيقول: قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا الشعر واستحسنته فما أبالى ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له خلف إذا أخذت أنت درهما واستحسنته فقال لك الصراف: إنه رديئ ، هل ينفعك استحسانك له؟ (٧٢)

فالنقد له رجاله الذين يستطيعون بثقافتهم وذوقهم أن يميزوا جيد الكلام من رديئة لا يشاركهم فى ذلك غيرهم ، كما أن لكل علم رجاله الذين يعرفون أسراره ودقائقه.

ولنقرأ معاً الملاحظة الآتية لنقف على مدى اعتماد النقاد على الذوق فى نقد النصوص الأدبية.

قال الأصمعى: قرأت على أبى محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير ، فلما بلغت إلى قوله:

وليل كإبهام الحبارى محبب ... إلىّ هواه غالب لى باطله

رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن ... كمن نبله محرومة وحبائله

فيالك يوما خيره قبل شره ... تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف: ويحه ما ينفعه خير يؤول إلى شر فقلت : هكذا قرأته على أبى عمرو ابن العلاء – قال : صدقت ، وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع. قلت: كيف يجب أن يكون؟ قال : الأجود أن يكون ((خيره دون شره)) فارووه كذلك ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل فقلت : والله لا أرويه إلا هكذا(٧٣)

فلم ينقد خلف شعر جرير من جهة مخالفته للنحو أو الصرف أو العروض أو اللغة وإنما نقده من جهة أخرى تعتمد أكثر ما تعتمد على الذوق العربى الأصيل :وهى عدم مطابقة الكلام لمقتضو الحال.

فالمقام للاستمتاع بذكر وصال المحبوبة وهو مقام تكسوه البهجة، وترفرف عليه السعادة فلا يناسبه ذكر الشر بعده ، إذ ذكر الشر بعده يعكر صفو تلك السعادة ويفسد جوها.

ونقد اللغويين وإن كان يغلب عليه الطابع اللغوى إلا أنه لا يخلو من إشارات بيانية تعد من صميم البحث البلاغى ، فقد سئل الأصمعى عن أى بيت تقوله العرب أشعر فقال : "" الذى يسابق لفظه معناه"" (٧٤) ومعنى أن يسابق لفظ البيت معناه أن يكون الكلام بريئاً من التنافر والتعقيد وضعف التأليف وأن تكون كلماته خالية من الغرابة ومخالفة الوضع اللغوى ، إلى آخر تلك العيوب التى اشترط البلاغيون سلامة الكلام منها ليوصف بالفصاحة، فتراه كما يقول أبو هلال سلساً فى النظام جارياً على اللسان لا يتنافى ولا يتنافر كأنه سبيكة مفرغة أو وشى منمم أو عقد منظم من جوهر متشاكل ، ألفاظه متطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة (٧٥).

أما الخليل بن أحمد فقد أجاب عن هذا السؤال بقوله: أشعر بيت قالته العرب هو البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته. (٧٦)

وكانت هذه الإجابة إيذاناً بميلاد لون من ألوان البلاغة سماه قدامة بن جعفر "" بالتوشيح"" وجعله من نعت إئتلاف القافيه وقال فى تعريفه ما قاله الخليل وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ، ومعناه متعلقاً به ، حتى أن الذى يعرف قافية القصيدة التى منها البيت إذا سمع أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته ، ومثل له بأمثلة منها قوله الراعى:

وإن وزن الحصى فوزنت قومى وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فإذا سمع الإنسان أول البيت استخرج منه لفظة قافيته لأنه يعلم أن قوله "" وزن الحصى"" سيأتى بعد ، رزين لعلتين:

إحداهما : أن قافية القصيدة توجبه، والأخرى: أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذى يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول فى حصاه أنه رزين (٧٧)

وتبع قدامة ــ فى بحث التوشيح ــ علماء البلاغة الذين أتوا بعده وإن خالفوه فى التسمية ، فأبو هلال العسكرى يرى أن تسميته بالتبيين أقرب (٧٨) ويسميه ابن رشيق "" التسهيم"" (٧٩) وابن الأثير والخطيب القزوينى يسميانه "" الإرصاد"" (٨٠) وإن أطلق عليه الخطيب التسهيم أيضاً فالمسمى واحد وإن اختلفت التسمية.

وعرف الخليل بن أحمد "" تنافر الحروف"" وهو من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة وذكر ذلك ابن سنان الخفاجى فقال: (وقد روى أن الخليل بن أحمد قال: سمعنا كلمة شنعاء وهى "" الهعخع"" وأنكرنا تأليفها) (٨١) .

فالخليل قد عرف التنافر فى الكلمة ومثل له وأنكره، ومازالت تلك الكلمة التى أنكر الخليل تأليفها تذكر فى كتب البلاغة كمثال من أمثلة التنافر الشديد (٨٢).

ويذكر الرمانى أن الخليل بين سبب التنافر فيقول: وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد. (٨٣)

وعرف على بن سليمان الأخفش الكناية حيث يقول : أول من سبق إلى الكناية فى الشعر الجعدى فإنه قال:

أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

فسبق الناس جميعاً واتبعوه فيه (٨٤).

وهذه الكناية التى ذكرها الأخفش وإن كانت بدائية لغوية إذا ما قيست بالكناية البلاغة إلا إنها ظلت بهذا المعنى حتى منتصف القرن الثالث الهجرى (٨٥).

وأشار الأخفش إلى الاستعارة التمثيلية فعند تفسير قوله تعالى: ((فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون)) (٨٦) قال الأخفش: لما رأوا الآية العظيمة لم يتمالكوا أن يسجدوا، فكأنهم ألقاهم غيرهم لسرعة وقوعهم (٨٧) وعلق قطب الدين

الرازى على ذلك بقوله : فحالهم فى شدة وقوعهم أو سرعة وقوعهم كحال من يلقيه غيره فهى استعارة تمثيلية (٨٨)

وتحدث أبو عمر بن العلاء وحماد وأبو عبيدة والأصمعى فى الاستعارة كفن من الفنون التى تتبارى فيها العقول، وذلك فى قول امرى القيس:

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

قال الباقلانى : قوله ""قيد الأوابد"" عندهم من البديع، ومن الاستعارة ويرونه من الألفاظ الشريفة ، وعنى بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وكانت بحالة القيد من جهة سرعة إحضاره ، وذكر الأصمعى وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو أنه أحسن فى هذه اللفظة، وأنه اتبع فيها ولم يلحق ، وذكروه فى باب الاستعارة البليغة. (٨٩)

وتحدث أبو عمرو بن العلاء فى الاستعارة مصرحاً بلفظها فى قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود والتوى وساق الثريا فى ملاءته الفجر

قال ابن رشيق : استعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظه مخرج التشبيه وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى لأحد مثل هذه العبارة، ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة ، ولا ملاءة له . وإنما استعار له هذه اللفظة. (٩٠)

وعرف الخليل بن أحمد والأصمعى"" المطابقة"" وحدد كل منهما معناها بحسب ما تراءى له فبينما يكتفى الخليل بتعريفها لغوياً نجد الأصمعى يكاد يطلق عليها المعنى الاصطلاحى ممثلاً لها بأمثلة لا يخلو منها كتاب من كتب البلاغة يقول الخليل : يقال "" طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما"" (٩١).

ويقول الأصمعى: المطابقة فى الشعر وضع الرّجل موضع اليد فى مشى ذوات الأربع ، مثل قول النابغة الجعدى:

وخيل يطابقين بالذراعين طباق الكلاب يطأن الهراسا(٩٢)

ثم يقول: وأحسن بيت قيل لزهير فى ذلك:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا (٩٣)

"" ليث : خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو ليث ، وعثر : مكان "" .

وقال الباقلانى : ومن البديع ما يسمونه المطابقة ، وأكثرهم على أن معناها على أن يذكر الشئ وضده ، كالليل والنهار والسواد والبياض، وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعى (٩٤)

وتحدث الأصمعى عن المبالغة والإيغال ، وحدد معنييهما وإن لم يذكر إسميهما قال ابن رشيق: حكى الحاتمى عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال: حدثنى التوزى قال: قلت للأصمعى: من أشعر الناس؟ قال : الذى يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً، أو يأتـــى إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً أو ينقضى كلامه قبل القيافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال قلت نحو من ؟ قال : نحو الأعشى إذ يقول:

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٩٥)

فقد تم المثل بقوله: "" واوهى قرنه"" فلما احتاج إلى القافية قال: الوعل

قال: قلت: ثم نحو من ؟ قال : ذوالرمة بقوله:

قف العيس فى أطلال مية واسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل (٩٦)

فتم كلامه، ثم احتاج إلى القافية فقال : "" المسلسل"" فزاد شيئاً (٩٧) . فقوله الذى يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتـــى إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً "" هو معنى المبالغة بأقسامها وقوله أو ينقضى كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى"" هو الإيغال.

ومع أن كلام الأصمعى يشمل المبالغة والإيغال إلا أن الأمثلة التى مثل بها لا تنطبق إلا على الإيغال. فهل يا ترى كان الأصمعى يقصد ما يفهم من كلامه؟ أم ما يفهم من تمثيله ؟ وعلى كل فقد كانت إجابة الأصمعى عن سؤال التوزى توجيهاً للعلماء لدراسة هذين الفنين اللذين هما من البلاغة بمكان.

وذكر الأصمعى الالتفات بإسمه البلاغى، ممثلاً له بأمثلة تنطبق على نوع من الإطناب يسمى ""التذييل"" عند الخطيب والجمهور، ويجعله الزمخشرى نوعاً من الاعتراض يأتى فى آخر الكلام (٩٨) قال ابن رشيق (٩٩) حكى عن إسحاق الموصلى أنه قال: (قال لى الأصمعى : أتعرف إلتفات جرير؟ قلت: وماهو ؟ فإنشدنى:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة ، سقى البشام (١٠٠)

ثم قال: أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفت إلى البشام فدعا له؟

وأنشد له ابن المعتز قوله:

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام (١٠١)

وقوله:

طرب الحمام بذى الأراك فهاجنى لازلت فى غلل وأيك ناضر (١٠٢)

وقد استفاد ابن المعتز من كلام الأصمعى فى دراسة الالتفات، وجعله نوعين: أحدهما هو ما أشار إليه الأصمعى ، وعرفه ابن المعتز بقوله : ومن الالتفاف الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر ، ومثل له بالبيتين السابقين ، أما النوع الآخر فهو ما يعرف بالالتفاف عند الجمهور ، وعرفه ابن المعتز بأنه : انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، ومن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك (١٠٣) وهذا النوع هو ما أشار إليه أبو عبيدة فى كتابه "" مجاز القرآن"" (١٠٤) ومثل له بقوله تعالى: ((حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة)) (١٠٥).

وذكر الخليل بن أحمد "" الجناس"" وعرفه لغة فقال: الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو (١٠٦).

ودرس الأصمعى الجناس دراسة علمية حيث روى أنه ألف كتاباً فيه ، فيقول عبد الله بن المعتز: المجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها (١٠٧).

وعرف أبو عمرو بن العلاء والأصمعى المجاز المرسل ، فقد روى أن أبا عبيدة قال: لما أنشد ذو الرمة بلال بن أبى بردة مدحه فلما بلغ قوله:

رأيت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا

قال بلال: يا غلام إعلف ناقته فإنه لا يحسن المدح فلما خرج قال له أبو عمرو : وكان حاضراً ــ هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها ، كما قال الله عز وجل : واسأل القرية التى كنا فيها. يريد أهلها، وهلا أنشدته قول الحارث:

وقفت على الديار فكلمتنى فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحبها ، فقال ذو الرمة : يا أبا عمرو أنت مفرد فى علمك وأنا فى علمى ذو أشباه.

فهو هنا يشير إلى إطلاق لفظ الناقة وإرادة صاحبها ، وإستعمال القرية وإرادة أهلها ، واستعمال القلوص وإرادة صاحبها دون إشارة إلى حذف فى الجملة وكل هذا من المجاز المرسل، وإن لم يسمه أبو عمرو باسم ولا دل على علاقة فيه ولا ذكر قرينة له ولكن يكفينا منه أنه عرف تأويله البلاغى دون انحراف به إلى مجاز الحذف أو الإستعارة. (١٠٨)

ومثل ذلك ما قاله الأصمعى فى قوله تعالى : ((وثيابك فطهر)). حيث قال : أراد بالثياب البدن. كقول العرب: فدالك ثوباى ، يريد نفسه

وأنشد:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدالك من أخى ثقة إزارى (١٠٩)

فالأصمعى يشير هنا إلى إطلاق الثوب وإرادة لابسه مجاز مرسل علاقته المجاورة.

مما سبق يتضح لنا أن نقد اللغويين لم يقتصر على مخالفة الشاعر قواعد النحو أو الصرف أو العروض أو الوضع اللغوى فحسب وإنما امتد نقدهم ليشمل كثيراً من النظريات النقدية والبلاغية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية والمبالغة والالتفات والإيغال والمطابقة والتجنيس والإرصاد. كما عرفوا العيوب المخلة بفصاحة الكلام، والمطابقة لمقتضى الحال مما أثرى البحث البلاغى ووسع دائرته.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

المصادر و المراجع

١- **إعجاز القرآن**، للباقلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٩م.

٢- **البديع** لعبد الله بن المعتز.

٣- **بغية الأيضاح** ، عبد المتعال الصعيدى.

٤- **البلاغة** ، **تطور وتاريخ** ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ١٩٦٥م.

٥- **البلاغة العربية فى دور نشأتها** ، سيد نوفل.

٦- **البلاغة القرآنية فى تفسير الكشاف** ، للدكتور محمد أبو موسى ، دار الفكر العربى.

٧- **البيان والتبيين**: أبو عثمان عمرو الجاحظ ، تحقيق السندوبى.

٨- **البيان القرآنى**، للدكتور محمد رجب البيومى ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، بالأزهر الشريف.

٩- **التفسير الكبير** ، لفخر الدين الرازى.

١٠- **ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للخطابى والرمانى والجرجانى** ، تحقيق الدكتور محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف.

١١- **جامع الترمذى**.

١٢- **حاشية قطب الدين الرازى على تفسير الكشاف**، مخطوط بدار الكتب المصرية.

١٣- **خصائص التراكيب** ، للدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة.

١٤- **الخطابة فى صدر الإسلام** ، للدكتور محمد طاهر درويش ، مكتبة الشباب.

١٥- **سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى** ، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدى ، طبعة محمد على صبيح ١٣٧٣ هـ.

١٦- **شرح ديوان الحماسة** للتبريزى.

١٧- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤م.

١٨- **الصناعتين**، لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على البيجاوى ، و محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٩- **طبقات فحول الشعراء** ، لابن سلام الجمحى.

٢٠- **الطراز** ليحيى بن حمزة العلوى ، مطبعة المقتطف ١٣٣٢هـ .

٢١- **العقد الفريد** ، لابن عبد ربه ، لجنه التأليف والنشر ١٣٦٥م.

٢٢- **الفهرست** لابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت.

٢٣- **فى النقد الأدبى عند العرب** ، للدكتور محمد طاهر درويش ، مكتبة الشباب.

٢٤- **الكشاف** ، للزمخشرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

٢٥- **لسان العرب** ، لابن منظور.

٢٦- **المثل السائر** ، لضياء الدين بن الأثير ، تحقيق الدكتور بدوى طبانة ، والدكتور أحمد الحوفى، طبعة نهضة مصر.

٢٧- **مجمع الأمثال** ، للميدانى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٩ هـ.

٢٨- **مناهج البحث البلاغى** ، للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ ، دار الفكر العربى.

٢٩- **مناهج تجديد** ، للأستاذ أمين الخولى ، دار المعرفة.

٣٠- **الموازنة للآمدى** ، تحقيق الأستاذ سيد صقر ، دار المعارف.

٣١- **النقد** للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف.

٣٢- **نقد الشعر** ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى.

٣٣- **الوساطه بين المتنبى وخصومه** ، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى.

٣٤- **الوزراء والكتاب** ، للجهشيارى.

٣٥- **الموشح** للمرزبانى ط السلفية: ١٣٤٣ هـ.

حواشى

١) سورة مريم : ٩٧ .

٢) سورة فصلت: ٣ .

٣) سورة البقرة: ٢٠٤ .

٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ / ٣ .

٥) مجمع الأمثال للميدانى ١ / ٤٣٣ .

٦) العمدة ١ / ٣٧ .

٧) الموازنة : ١ / ٣٨ ، ٣٩ . والصناعتين : ٧٤ .

٨) الألهوب: شدة الجرى ، الدرة : شدة الدفع ، والمهذب : المسرع فى العدو.

٩) المتحلب: طالب الحلبة ، بفتح فسكون ، وهى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة.

١٠) الصناعتين: ٧٤ .

١١) مناهج البحث البلاغى : ١١ د. عبد السلام عبد الحفيظ .

١٢) الصناعتين : ٨٥ ، ٨٦ ، ولسان العرب : ٤ ٢٤٤٨ مادة صعر والموازنة ١ / ٤١ ، ٤٢ .

١٣) ناج: صفة لموصوف محذوف تقديره : جمل ناج ، أى ينجى صاحبه ، والمكدم الفحل الغليظ الصلب.

١٤) الجفنات : جمع جفنة ، وهى الإناء الكبير الذى يوضع فيه الطعام للأضياف والغر: جمع غرة ، وهى بياض قليل فى لون آخر ، والعنقاء: جد الأوس والخزرج: ومحرق أخوه، وإنما سمى محرقا لأنه أول من عاقب بالنار ابنما : ابنا ، والميم زائدة.

١٥) الموشح ص: ٦٠ وانظر البلاغة تطور وتاريخ ص : ١١

١٦) خصائص التراكيب: ١٤ د. محمد أبو موسى.

١٧) البيان والتبيين : ١ / ١٢٨ .

١٨) سابق: ١ / ٢١ .

١٩) السابق : ١ / ٢٢ .

٢٠) السابق: ١ / ٤٧ .

٢١) البلاغة العربية فى دور نشأتها : ٥٤ .

٢٢) الصناعتين: ٤٤٠ .

٢٣) انظر مناهج تجديد ، أمين الخولى: ٩٢ .

٢٤) البيان القرآنى : ١٦ وما بعدها د. محمد رجب البيومى.

٢٥) الكشاف: ٤ / ١٨٣ ، وانظر البيان القرآنى.

٢٦) الفهرست لابن النديم: ١ / ٣٤ ، ٣٨ .

٢٧) السابق ص : ٣٤ ، ٣٨ والبلاغة العربية فى دور نشأتها ص : ١١ .

٢٨) انظر الكتب المرسلة إلى هؤلاء فى كتاب الصناعتين : ١٥٥ ، ١٥٦ .

٢٩) البيان والتبيين : ٢ / ٢٨ ، ٢٩ .

٣٠) البيان والتبيين : ٢ / ٢٧ وما بعدها.

٣١) العمدة : ١ / ٣٤ .

٣٢) مات حتف أنفه أى مات على فراشه ، فإن العرب تعتقد أن روح المريض تخرج من أنفه فإن جرح خرجت من جراحه.

٣٣) البيان والتبيين : ١ / ٢٩ والترمذى : ١ / ٣٦٣ .

٣٤) السابق: ١ / ١٩٤ ، وإعجاز القرآن للباقلانى : ٢١ .

٣٥) البلاغة العربية فى دور نشأتها : ٦٠ .

٣٦) البيان والتبيين : ٢ / ٤١ .

٣٧) ديوان الحماسة للتبريزى : ١ / ٣ .

٣٨) العمدة ١ / ٩ .

٣٩) فى النقد الأدبى عند العرب : ٨٤ ، ٨٥ د. محمد طاهر درويش.

٤٠) العمدة :١ / ٦٠ .

٤١) فى النقد الأدبى عند العرب : ٨٦ .

٤٢) العمدة : ١ / ٦٢ .

٤٣) النفار: اللجوء إلى حكم يرتضى حكمه ، والجلاء: أن يظهر الأمر وينكشف.

٤٤) العمدة: ١ / ٣٠ .

٤٥) فى النقد الأدبى عند العرب : ٩٤ .

٤٦) انظر هذه التعريفات فى كتاب الصناعتين : ٥١ ، ٥٢ .

٤٧) الخطابة فى صدر الإسلام : ٢ / ١٤٠ .

٤٨) الحجرات : ١٣ .

٤٩) الزق : السقاء ، والزاملة : بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه.

٥٠) النقد الأدبى عند العرب : ١٠٤ .

٥١) البلاغة تطور وتاريخ ١٨ : ١٩ .

٥٢) السابق : ١٧ .

٥٣) عبد الله أخو الشاعر ، وهو المقتول به ، ولداته : أترابه الذين ولدوا معه والمقتول : ذؤاب.

٥٤) بغية الإيضاح : ٤ / ٧١ ، والعمدة.

٥٥) العمدة : ١ / ١٤٨ .

٥٦) السابق : ١ / ١٤٨ .

٥٧) بغية الإيضاح : ٤ ١٤٨ ، ١٤٩ .

٥٨) الطراز ١ / ٣٩٢ .

٥٩) الوزراء والكتاب للجهشيارى : ٤٠ .

٦٠) النقد ص : ٣٤ د. شوقى ضيف.

٦١) البيان والتبيين : ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٦٢) السابق : ١ / ٢٠٩ .

٦٣) السابق : ١ / ٢٠٩ .

٦٤) السابق ، والعمدة : ١ / ٥٧ .

٦٥) الوساطة : ٥٠ ، والموازنة : ١ / ٢٤ .

٦٦) الموازنة : ١ / ٢٢ .

٦٧) السابق : ٢٠ .

٦٨) الموازنة ١ / ٣٧ ، ٣٨ .

٦٩) الشعر والشعراء ص ، ١ ، ١١ : والعمدة : ١ / ٥٧ .

٧٠) العقد الفريد : ٥ / ٣٠٦ .

٧١) طبقات الشعراء ص : ٦ .

٧٢) السابق ص : ٨ .

٧٣) العمدة ٢ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

٧٤) العقد الفريد : ٥ / ٣٢٥ .

٧٥) الصناعتين : ٣٨٢ .

٧٦) العقد الفريد : ٥ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

٧٧) نقد الشعر : ١٦٧ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى.

٧٨) الصناعتين : ٣٨٢ .

٧٩) العمدة: ٢ / ٢٦ .

٨٠) المثل السائر : ٣ / ٢٠٦ ، وبغية الإيضاح : ٤ / ٢١ .

٨١) سر الفصاحة : ٥٧ .

٨٢) شروح التلخيص : ٤ / ٧٧ .

٨٣) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن : ٦٩ .

٨٤) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ، ١ / ١٩٦ .

٨٥) مناهج البحث البلاغى : ٣١ .

٨٦) سورة الأعراف : ١٢٠ – ١٢٢ .

٨٧) التفسير الكبير : ١٤ / ٢٠٦ .

٨٨) حاشية القطب على الكشاف ق : ٢١٨ ب .

٨٩) إعجاز القرآن للباقلانى : ٢٤ ، ٢٥ .

٩٠) العمدة ١ / ١٨١ .

٩١) العمدة ١ / ١٨١ .

٩١) العمدة ٢ / ٧ .

٩٢) شبه الجعدى مشى الخيل بوطى الكلاب الهراس وهو حطام الشوك فهى لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه يداها طلباً للسلامة .

٩٣) العمدة : ٢ / ٧ .

٩٤) إعجاز القرآن : ٢٧ .

٩٥) الوعل : تيس الجبل .

٩٦) العيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف ، والأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار الأخلاق : جمع خلق وهو البالى ، والمسلسل : الردى النسج.

٩٧) العمدة ٢ / ٤٦ .

٩٨) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى : ٣٧٨ د. محمد أبو موسى.

٩٩) العمدة : ٢ / ٣٧ ٣٨ والصناعتين : ٣٩٢ ، وإعجاز القرآن : ٣٤ .

١٠٠) البشام : شجر لا ثمر له.

١٠١) ذو الطلوح : موضع.

١٠٢) ذو الأراك : موضع والغلل : الماء على سطح الحدائق ، والأيك : الشجر الملتف.

١٠٣) بديع بن المعتز : ٥٨ ، ٥٩ .

١٠٤) مجاز القرآن : ١ / ١١ .

١٠٥) سورة يونس : ٢٢ .

١٠٦) بديع ابن المعتز : ٢٥ .

١٠٧) بديع ابن المعتز ٢٥ إعجاز القرآن : ٢٨ .

١٠٨) مناهج البحث البلاغى ٣٤ .

١٠٩) إعجاز القرآن للباقلانى : ٢٧ .